إنتاج كتابي جني التمور

يُعْتَبَرُ قِطَاعُ التُّمُورِ ، أهَمُّ ثَرْوَةٍ لأهَالِي الجَنُوبِ التُّونُسِيّ فمِنْهُ يَقْتَاتُونَ وَيعِيشُونَ ، إذْ يُوَفّرُ القِطَاعُ مَوْرِد رِزْقٍ لأكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ ألفِ عَائِلَةٍ .

زَغَارِيدٌ هُنَا وَهُنَاكَ ، سَيَّارَاتٌ رُبَاعِيَّة الدّفْعِ مُمْتَلِئَةٌ بِصَنَادِيق بلاسْتِيكِيّة حَمْرَاء وَصَفْرَاء اللَّوْنِ ذَات أحْجَامٍ مُخْتَلِفَةٍ اكْتَظّتْ بِهَا الطُّرُقَات الضّيِّقَة دَاخِلَ أحْيَاء المُدُن وَالقُرَى ، أعْمِدَةُ دُخَّانٍ تَتَصَاعَدُ مِنْ وَاحَاتِ الجِهَةِ ، الجَمِيعُ يُسَارِعُ الخُطَى كَأَنَّهُ يُسَابِقُ الوَقْتَ ، هَذَا حَالُ الجَنُوبِ التّونُسِيّ هَذِهِ الأيَّام ، مُنْذُ انْطِلاَق مَوْسِم جَنْي التُّمُور هُنَاكَ.

في هَذَا المَوْسِمِ ، تَتَحَوَّل مَنَاطِق الجَنُوبِ التُّونُسي إلَى خَلِيّة نَحْلٍ وَمَهْرَجَانَات فَرَح، فَالجَمِيعُ : الفَلاَّحُونَ وَأصْحَابُ بَسَاتِين النَّخِيل وَأهْلُ المنْطَقَة ، يَتَوَجّهُونَ بَعْدَ رَاحَة دَامَتْ لأشْهُرٍ إلَى وَاحَاتِ النّخِيلِ حَيْثُ الخَيْرُ الوَفِير.

عِنْدَ السَّاعَةِ السَّابِعَةِ صباحا ، وَصَلَ "عَلي" المُشْرِفُ عَلَى المَجْمُوعَةِ إلَى إحْدَى مَقَاهِي قَرْية "بشري" التِي تَحَدّتْ طَبِيعَةَ الصَّحْرَاء وَقَساوَتِهَا بوَاحَاتِهَا الغَنَّاء وَنَخِيلِهَا البَاسِقَة الشَّاهِقَة .

فِي تِلْكَ الأثْنَاءِ ، امْتلأ المَقْهَى بِالشَّبَاب الذِي يَتَرَشّف قَهْوَة الصَّبَاحِ وَيتَبَادَل أطْرَافَ الحَدِيثِ فِي نَفْسِ الوَقْتِ قَبْل الذَّهَابِ إلَى الوَاحَةِ لجَنْي التُّمُور ، وَمَا هيَ إلا دَقَائِقَ حَتَّى وَصَلَ زيَاد وَقليعي وَوليد ، وَالْتَحَقُوا بِصدِيقِهِمْ "علي" ، جَلَسَ الأرْبَعَةُ بَعْضَ الدَّقَائِقِ ثُمّ خَرَجُوا مِنْ هُنَاكَ وَالْتَحَقُوا بِالسَّيَّارَةِ التِي كَانَتْ أمَامَ المَقْهَى فِي انْتِظَارِهِمْ ، مُتَوَجّهِين إلَى إحْدَى الوَاحَاتِ التِي تَبْعُدُ عَن القَرْيَة أقلّ مِن كِيلُومتْرَيْن.

مكتبتي
www.mektabeti.com

عِنْدَ الوُصُولِ هُنَاكَ ، فَرَشَ "القليعي" غِطَاءً بلاَسْتِيكيًّا كَبِيرًا لِوضْعِ عَراجِينَ التّمْرِ فَوْقَهُ حتَّى لاَ تَلتصِقَ بِالتُّرْبَة وَالعُشْبِ ، فِيمَا تَوَجَّهَ "زياد" إِلَى وَسَطِ الوَاحَةِ وَأَشْعَلَ قَلِيلاً من الحَطَبِ اليَابِسِ لِطَهْيِ الشَّايِ الذِي لاَ يسْتَقِيم العَمَل دُونَهُ ، وَغيْرَ بَعِيدٍ مِنْهُ وَقَفَ "علي" يُرَتّبُ صَنَادِيقَ التّمْرِ التِي يأتِي بِهَا "وليد" مِنَ السَّيَّارَة ، ثُمّ بَدَأ العَمَلُ.

أَخَذَ "علي" عدّتَهُ وَصعدَ إِلَى النّخْلَةِ الأولَى ، وَوَقَفَ "زياد" أَسْفَل النّخْلَةِ يأخُذُ العَرَاجين التِي يَقُصُّهَا "علي"، ثُمّ يَتَوَجَّهُ بهَا إِلَى الغِطَاء البلاستيكي لوَضْعِهَا هُنَاكَ ، أَيْنَ ينْتَظِره "القليعي" وَ"وليد" لِتَرْصِيف تَمْرِهَا في الصَّنَادِيقِ المُعدّة للغَرَض لتَصْدِيرِهَا أَوْ بَيْعِهَا فِي الأسْوَاق الدّاخِلِيَّة.

نفْس المَشْهد يَتَوَاصَلُ طَوَالَ اليَوْمِ وَبَيْنَ الفَتْرَة وَالأخْرَى يَتَوَقّفُ الأربَعَةُ عَنِ العَمل لتَرشّف كَأسٍ مِنَ الشَّايِ الأخْضَرِ الذِي أَشْرَفَ زيَادٌ عَلَى تَجْهِيزِهِ وَصَوْتُ القَهْقَهَاتِ تَتَعَالَى في اسْتِرَاحَةٍ يَرْتَفِعُ فِيهَا الطَّرَبُ وَالفَرَحُ بَيْنَهُم.

إلى جَانِبِ مَشْهَد العُمّال ، وَكَأَنّهُمْ خَليَّةُ نَحْلٍ ، يَشُدُّ انْتِبَاهَكَ وَأَنْتَ فِي وَاحَاتِ الجَنُوبِ التُّونُسي ذَلكَ البِسَاط الأخْضَر الكَثِيف وَالعُيُون الطّبِيعِيَّة الجَارِيَة ، وَمَنْظَر أَشْجَار النَّخِيلِ البَاسِقَة التِي تَسْبَحُ أَغْصَانها فِي الفَضاءِ ، وَتمْتَشِق قَامتهَا لِتقِفَ رَمْزاً لِلنّبْلِ وَالصُّمُودِ وَالتّحَدّي ، تُصَارِعُ قَسْوَةَ الصّحْرَاء وَالكُثْبَانِ العَاتِيَة ، وَالرّمَالِ المُمْتَدَّة ، وَالصُّخُورِ الكبِيرَةِ.

وَيُقسِّمُ سُكّانُ الوَاحَاتِ مِيَاه الرّيّ بِنِظَامٍ صَارِمٍ ظَلّوا يَحْتَرِمُونَهُ جِيلاً بَعدَ جِيلٍ. وَيَتمُّ تَوزيعَ الميَاه عَن طَرِيقِ قَنَواتٍ تَجْعَلُ الوَاحَة أَشْبَهَ بِأَرْضٍ تَتَقَاطَعُ فِيهَا الأنْهارُ الصّغِيرَة ، فَكُلّ فَلاّح يَحِقّ لَهُ الحُصُولَ عَلَى المَاءِ بشَكْلٍ دَوْرِيّ ، وَفي اليَوْم المُحَدّد لسُقْيَاه يَقُومُ بإغْلاَق الحَاجِز بَيْنَ القَنَاةِ وَحقْل جَاره ، ليَفْتَحَ المَجْرى الذِي يَصِلُ حَقْلهِ بِالقَنَاةِ.

وَتُوجَدُ فِي وَاحَاتِ الجَنُوبِ التّونُسي العَشَرات مِنْ أنوَاعِ التُّمُور مُخْتَلِفَة الجَوْدَة ، التِي مَا تَنْفَكُّ تُعْطِي ثَمراً يُسْمنُ وَيُغْنِي مِنَ الجُوعِ وَيعُودُ بالمَال عَلَى الجُيُوب ، تَتَصَدّرُهَا الدّقْلَة المَعْرُوفَة تجَاريًّا بدِقْلَة النُّور التِي تَجِدُ إقْبَالاً كَثيفًا في الأسوَاق العَالمِيَّة فِي كُلّ أوْقَاتِ السَّنَة .

مكتبتي
www.mektabeti.com